الأنشطة الحرفية لقبائل الطوارق في مجتمع السودان الغربي في عصر مملكتي مالي وصنغى (636–1000هـ / 1238–1591م)

أ. إيهاب شعبان عبد الشافي(*)

أ.د. حسين مراد(**) د. بطل شعبان (***)

• **مُلخص:**

يتناول البحث موضوع على درجة كبيرة من الأهمية ألا وهو الأنشطة الحرفية لقبائل الطوارق في مجتمع السودان الغربي خلال عصر مملكتي مالي وصنغي (636–1000هـ/1238–1591م). وتأتي أهمية هذا الموضوع من كونه يرصد الدور المهم لقبائل الطوارق على صعيد الأنشطة الحرفية، فهذا الدور تم إغفاله في المصادر التاريخية المتاحة، تلك المصادر التي حصرت دور الطوارق في إطار السلب والنهب والمواجهات الحربية ضد الممالك الإسمية بالسودان الغربي وخاصة مملكتي مالي وصنغي. وفي بداية البحث يتم التعريف في المقدمة بمصطلح السودان الغربي وحدوده وبالفترة الزمنية للبحث وهي عصر مملكتي مالي وصنغي، مع إعطاء نبذة عن هاتين المملكتين، والتعريف بمحور البحث وهم الطوارق، وكيفية هجرتهم واستقرارهم في السودان الغربي. وقد تميز الطوارق باحتفاظهم بعاداتهم وتقاليدهم عبر العصور التاريخية، وقد اتخذت الأنشطة الحرفية طابعًا مميزًا لهم، وهذا ما سيتم توضيحه في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: الطوارق، السودان الغربي، مملكة مالي، مملكة صنغي، الأنشطة الحرفية

(*) باحث دكتوراه بقسم التاريخ بكلية الدراسات الأفريقية العليا – جامعة القاهرة

(**) أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الدراسات الأفريقية العليا – جامعة القاهرة

(***) أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بكلية الدراسات الأفريقية العليا – جامعة القاهرة

Craft Activities of the Tuareg Tribes in Western Sudanese Society during the Era of the Kingdoms of Mali and Songhay (636–1000 AH / 1238–1591 AD)

Ehab Shabaan Abd ElShafy

- **Abstract:**

The research deals with a new and very important topic, which is the craft activities of the Tuareg tribes in Western Sudanese society during the era of the Mali and Songhai kingdoms (636 - 1000 AH / 1238 - 1591 AD). At the beginning of the research, the introduction introduces the term Western Sudan, its borders, and the time period of the research, which is the era of the Kingdoms of Mali and Song, giving an overview of these two kingdoms. Introducing the focus of the research: the Tuareg, and how they immigrated and settled in Western Sudan. The Tuareg have been distinguished by their preservation of their customs and traditions throughout historical ages, and craft activities have taken on a distinctive character for them. The research shows the most important factors for the prosperity of their craft activities in Western Sudan, which is the availability of raw materials that they used in their industries. It also explained their most important craft centers, The research dealt with the most important craft activities for which they were famous, and blacksmithing came at the forefront, as they were skilled in making swords, knives, jewelry, etc., and also knitting, which appeared in their clothes, which distinguished them from others, and which was distinguished by its colors and embroidery. The Tuareg leather products were known for their high quality, and varied between the manufacture of saddles, shoes, sandals, bags, furniture, etc. The Tuareg were famous for their high skill in carving on rocks. They also excelled in other professions, such as construction and pottery making. Finally, the research proved the antiquity of craft organizations in Western Sudanese society, dating back to the third century AH / ninth century AD. The sources confirmed the precise organization of the craftsmen's sects in Songi, and thus the research reveals important economic and social aspects for the Tuareg of Western Sudan. Represented in their craft activities.

Keywords: Tuareg, Western Sudan, Kingdom of Mali, Kingdom of Songi, Craft activities

- **مقدمة:**

موضوع هذا البحث هو الأنشطة الحرفية لقبائل الطوارق في مجتمع السودان الغربي خلال عصر مملكتي مالي وصنغي (636–1000هـ/1238–1591م). وتأتي أهمية هذا الموضوع من كونه يرصد الدور المهم لقبائل الطوارق على صعيد الأنشطة الحرفية، فهذا الدور تم إغفاله في المصادر التاريخية المتاحة، تلك المصادر التي حصرت دور الطوارق في إطار السلب والنهب والمواجهات الحربية ضد الممالك الإسمية بالسودان الغربي وخاصة مملكتي مالي وصنغي. وفي بداية البحث يتم التعريف في المقدمة بمصطلح السودان الغربي وحدوده وبالفترة الزمنية للبحث وهي عصر مملكتي مالي وصنغي، مع إعطاء نبذة عن هاتين المملكتين، والتعريف بمحور البحث وهم الطوارق، وكيفية هجرتهم واستقرارهم في السودان الغربي. وقد تميز الطوارق باحتفاظهم بعاداتهم وتقاليدهم عبر العصور التاريخية، وقد اتخذت الأنشطة الحرفية طابعًا مميزًا لهم، ويبين البحث أهم عوامل ازدهار أنشطتهم الحرفية في السودان الغربي وهو توفر المواد الخام التي استخدموها في صناعاتهم، كما وضح أهم مراكزهم الحرفية، وعالج البحث أهم الأنشطة الحرفية التي اشتهروا بها، وتأتي الحدادة في مقدمتها، فقد مهروا في صناعة السيوف والسكاكين والحلي وغيرها، وأيضًا الحياكة والتي ظهرت في ملابسهم التي تميزوا بها عن غيرهم، والتي تميزت بألوانها وتطريزها، وقد عرفت المنتجات الجلدية للطوارق بالجودة العالية، وفد تنوعت بين صناعة السروج والأحذية والصنادل والحقائب والمفروشات وغيرها، وقد اشتهر الطوارق بمهارتهم العالية في النقش على الصخور، كما برعوا في مهن أخري كالبناء وصناعة الفخار، وأخيرًا أثبت البحث قدم التنظيمات الحرفية في مجتمع السودان الغربي التي ترجع إلى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وقد أكدت المصادر التنظيم الدقيق لطوائف الحرفيين في صنغي، وبذلك يكشف البحث عن جوانب اقتصادية واجتماعية مهمة لطوارق السودان الغربي تمثلت في أنشطتهم الحرفية.

أولًا– التعريف بالسودان الغربي:

يشير مصطلح السودان الغربي إلى المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى والممتدة بين المحيط الأطلنطي غربًا وبحيرة كوري (بحيرة تشاد) شرقًا، شمال خط الاستواء وجنوب الصحراء الكبرى بين خطي عرض 11ْ و17ْ شمالاً[1]. وتمثل هذه المنطقة المجال الموازي لبلاد المغرب وتفصل بينهما الصحراء الكبرى، وبذلك فإن هذه المنطقة تمتد بين خط الاستواء جنوبًا ومدار السرطان شمالاً، ويجري بها نهري السنغال والنيجر[2]. وتبلغ هذه المنطقة في مساحتها نحو سبعة ملايين كيلو متر مربع[3].

وقد شهد السودان الغربي قيام مملكتين اسلاميتين مزدهرتين هما مملكتي مالي وصنغي، أما مملكة مالي فقد أنشئت على يد شعب الماندنجو، ومؤسسها هو الملك سندياتا (636– 653هـ / 1023– 1255م)، وأشهر ملوكها قاطبة منسا موسى (712–737هـ/ 1312–1337م)، ففي عهده امتدت رقعة مالي بين نهر السنغال في الغرب وبحيرة تشاد في الشرق، وازدهرت المملكة في عهده.[4]

---

[1] ابن سعيد (أبو الحسن علي بن سعيد المغربي، ت 673هـ/1275م): كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1970، ص10؛ حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص137؛ حسين مراد: الصلات بين المغرب والسودان الغربي (خلال القرن 2-6 هـ/8-12م)، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، الإسلام في أفريقيا، الكتاب الحادي عشر،2006، ص373.

[2] إبراهيم أحمد العدوي: ابن بطوطة في العالم الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، 1954، ص 142.
- Hunwick, J.: A Region of the Mind: Medieval Arab views of African geography And ethnography and their legacy, Sudanic Africa, No.16, (2005), pp.111-112.

[3] محمد أنور توفيق أبو علم: مملكة سنغاي الإسلامية تطورها الاقتصادي والاجتماعي والحضاري، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة 1977، ص19.

[4] ابن خلدون (عبد الرحمن بن أبي محمد بن الحسن، ت 808هـ/1406م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، ضبطه ووضع حواشيه الأستاذ خليل شحادة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع،

أما مملكة صنغي فهي تعد أقدم الممالك التي قامت في السودان الغربي، وأيضًا آخر وأكبر الممالك التي ازدهرت في منطقة السودان الغربي خلال العصر الإسلامي[1]. قد عرف شعب صنغي أربع أسر حاكمة، ظهرت الأسرة الأولى قبل الميلاد بأكثر من عشرة قرون على الأقل[2] ويعنينا هنا الأسرة الثالثة التي نجحت في القضاء على مملكة مالي، وهي أسرة آل سني، ومؤسسها سني علي كولن وأخوه سليمان نار[3]، وتكونت هذه الأسرة الحاكمة من واحد وعشرين ملكًا[4]. وكانت أسرة الأساكي هي الأسرة الرابعة التي حكمت صنغي، وقد تأسست هذه الأسرة بزعامة أسكيا الحاج محمد الكبير (898–935هـ/1493–1528م)[5].

أما الطوارق أو "عرب الصحراء الكبري" كما يطلق عليهم[6] فاسمهم يعني بلغتهم "كيل تماهق"، وهم يسمون أنفسهم "أموهاج"، أما اسم الطوارق الذي عُرفوا به فقد جاء

ج6 بيروت، ، ص266– 268؛ إبراهيم طرخان: مملكة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص 74.

[1] قمر الدين محمد فضل الله: "لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية 1468– 1591"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الرابع، طرابلس، 1987، ص 215.

[2] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493–1591م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص 7.

[3] هارون المهدي ميغا: إمبراطورية سنغاي دراسة تحليلية في الترتيب التاريخي للإمبراطوريات الإسلامية في غرب أفريقيا، مجلة دراسات أفريقية، العدد 37، السنة 23، يونيو 2007، ص 119، 141.

[4] السعيدي (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعيدي، ت 1067هـ/1656م): ملوك السودان أهل سنغي وقصصهم وأخبارهم وسيرهم وغزواتهم وذكر تنبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك، نشره هوداس، مطبعة أنجي، باريس، 1898، ص 3،6.

[5] عبد القادر زبادية: مرجع سابق، ص 28.

- Koubbel . L .E: Puissance De Songhay, Essai De l'étude d'un régime Socio-politique, Publications De Scientifiques, Moscou, 1974, p. 271.

[6] السعيدي: مصدر سابق، ص 51، عمر الأنصاري: الرجال الزرق (الطوارق، الأسطورة والواقع)، دار الساقي، 2017، ص 26.

مع الفتح الإسلامي لمنطقة المغرب الإسلامي، وقيل إن الاسم جاء لكونهم تركوا الإسلام في البداية، فسموا التوارك، وقيل لأنهم تركوا المسيحية إلى الإسلام، فسموا بهذا الاسم، وكلمة الطوارق تنقسم إلى قسمين: "طوا" وتعني شعب، و"رق" تشير إلى اسم مكان، ويقال أن أصلهم يمني، وترجع أصولهم إلى قبيلة صنهاجة[1].

لقد نزح الطوارق الي السودان الغربي بسبب الحروب بين القبائل العربية وحروب الشمال الأفريقي من قبل الرومان والوندال.[2] ومنذ أن انتشر الإسلام ببلاد المغرب تمكنت قبائل الملثمين ومنهم طوارق لمطة ولمتونة وجدالة ومسوفة من الوصول لبلاد السودان الغربي في عصر مملكة غانة، وأسهموا في نشر الإسلام بها، وتوطيد أقدامهم في السودان الغربي[3].

وأهم قبائل الطوارق في السودان الغربي قبائل الهقار، وهي مجموعة كبيرة من القبائل الطارقية سكنت جبال الهقار، فسميت بها، وهي سلسلة جبال شاهقة تقع بين بلاد المغرب الأوسط ومملكة مالي، وأهم فروعها كيل أغلا الموجودين في النيجر وموريتانيا، وتيطوق، وكل أغري، وتاغت ملّت (أهل العنز البيضاء). وأيضًا قبيلة إدو إسحاق، وهي تقطن شمال مالي في صحراء تنبكت، واشتهروا بعلمهم، ومن أيضًا قبيلة إغطفانن، وهي تقطن شمال مالي، وهي تحريف لاسم القبيلة الشهيرة غطفان، ومنها كذلك قبيلة إيكزكزن تقطن شمال النيجر، وقبيلة كل أمنير القاطنة شمال النيجر حاليًا.[4]

---

(1) عمر الأنصاري: المرجع السابق، ، ص39؛ أحمد عبد الدايم حسين: تاريخ القضية الأزوادية وتطورها، مجلة قراءات إفريقية، العدد السادس عشر، إبريل – يونيه 2013، ص 18، 19.

(2) Ramsussen, S.: Disputed Boundaries: Touareg Discourse on Class and Ethnicity Ethology, Vol. 31, No.4 (olt., 1992) , pp.122-127.

(3) البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز، ت 487هـ/1094م): المغرب في بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، د.ت، ص 177.

(4) محمد سعيد القشاط: التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات وأبحاث شئون الصحراء ، ليبيا، ط 2، 1989م، ص ص 108–118.

كما تعد قبيلة كل نان – والتي ينحدر منها سلطان سلطنة تقرقريت الطارقية في شمال النيجر– من أهم القبائل الطارقية وهي قبيلة كبيرة كثيرة الفروع أهمها كل أغلال،وتقرمت، وأراولن، وأزرياضن، وتلميديس، وأقيران، وكل إزار، وآيب أواري، والشريفن، داغمنا، إقدالين، وإزاويتن[1]. ومنها أيضًا قبائل أولمدن بفرعيها كيل أرترام و تقرقريت، سيطرت على أزواغ الغربي والأوسط وعلى مناطق نهر النيجر[2]. وبعد أن تعرفنا على مصطلح السودان الغربي وعلى قبائل الطوارق، ننتقل الآن للحديث عن عوامل ازدهار الأنشطة الحرفية للطوارق.

ثانيًا– عوامل ازدهار الأنشطة الحرفية للطوارق:

يأتي في مقدمة هذه العوامل عامل مهم ألا وهو وفرة المواد الخام اللازمة لقيام الصناعات في منطقة السودان الغربي، ويأتي على رأسها الملح والحديد والذهب والنحاس بالرغم من أن هذه المواد كانت على رأس الواردات، إلا إنها كانت أيضًا من أهم المواد الخام التي كانت تستخرج في مملكتي مالي وصُنغي، وإن كان استخراج النحاس يتم بكميات قليلة[3].

ويعد الملح من أهم المواد الخام التي وفرت مجالا للأنشطة الحرفية للطوارق وغيرهم من القبائل ببلاد السودان الغربي، فقد قامت على هذه المادة حرف متنوعة لا سيما

- Prasse, K. – G.: The Tuaregs (The Blue people), Museum Tusculanum press,1995,p.10.

(1) الشاوي اللإله البكاي أماهين: الطوارق عبر العصور، تحقيق أ. إصلاح محمد البخاري حمودة، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2007، ص111–113؛ محمد سعيد القشاط: المرجع السابق، ص115–116.

- Prasse, K. – G: Op.Cit, p.10, 11.

(2) الشاوي اللإله البكاي أماهين: المرجع السابق، ص 106.

(3) هوبكنز أ.ج.: التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 1998، ص 86.

- Timothy, I. : "Iron Age Gao: An Archaeological Contribution", The Journal Of African History, No.38(1997), p. 21.

حرف التنقيب على الملح واستخراجه، وتقطيعه، ونقله، وبيعه. وكان الملح في عصر مملكة مالي وفقًا لرواية ابن بطوطة (المتوفى عام 779هـ/1377م) يستخرج من تحت الأرض في شكل ألواح من معدن تغازة، وتقوم الإبل بحمله إلى مدن السودان الغربي كافة، نظرًا لأهمية الملح حيث كان يستخدم كعملة بعد أن يتم تقطيعه إلى قطع صغيرة[1]. ثم يشير الحسن الوزان (المتوفى عام 960هـ/1552م) إلى استمرارية هذه الأهمية في عصر مملكة صنغي، ويصف قطع الملح ببياضها الشديد، وأنه كان يسهل نقلها لمسافات بعيدة[2]. وتتفق نتائج الحفائر الآثرية مع الوزان فقد أكدت أن مناجم الملح في تغازة (Tegaza) وتاوديني (Tawdenni) كانت الأكثر شهرة زمن مملكة صنغي[3].

ويختلف الرحالة فرناندیز (Fernandez) الذي زار تنبكت في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي مع الحسن الوزان فيما أورده من معلومات حول تقطيع الملح ونقله فذكر أن قطع الملح هذه لا يمكن نقلها لأنها كانت رقيقة جداً وسهلة الانهيار، ولذلك فإنه لم يكن يتسن لأحد أن يحملها إلى تنبكت[4].

---

[1] ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي، ت 779هـ/1377م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق وتقديم عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، ص 219؛

- McDougall, E. A.: "Salt of The Western Sahara: Myths, Mysteries And Historical Significance", The International Journal Of African Historical Studies, Vol. 23, No.2, (1990), p. 251.

[2] الوزان (الحسن بن محمد الوزان، ت 960هـ/1552م): وصف أفريقيا، الجزء الثاني، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1983، ص 167.

[3] Mcintosh, R.. J: The Peoples of The Middle Niger The Island of Gold, Blackwell Publishers, USA, 1998, p. 34.

[4] McDaugall, E. A.: Op.Cit, p. 251.

وبخلاف الملح اشتهرت مملكتا مالي وصنغي بوفرة خام الذهب، وأشهر مناجم تعدين الذهب كانت في منطقة الونقارة، في بامبوك (Bambouk) وبوري (Bure) وفاليمي (Faleme) ولوبي (Lobi)[1]. كما كان يتم استخراج النحاس منذ فترات زمنية بعيدة[2].

لقد أسهمت وفرة المواد الخام هذه في تنوع الأنشطة الحرفية التي عمل بها الطوارق وكذا بقية العناصر الإثنية الوافدة على بلاد السودان الغربي، والسودانيون أنفسهم؛ ولهذا تميز القطاع الحرفي بالتنوع.

وفضلًا عن وفرة المواد الخام كانت الظروف مهيأة لقيام النشاط الرعوي وهو النشاط الذي يفضله الطوارق كونهم رحالة لا يستقر بهم مقام، أي أنهم كانوا كثيري التنقل والترحال. ولهذا عُد الرعي من أهم الأنشطة التي مارسها الطوارق في منطقة السودان الغربي، أعان على ذلك توافر المراعي الطبيعية بالمنطقة. وقد كانت بعض الأشجار والنباتات تنمو طبيعيًا في بعض أراضي مالي وصُنغي، فعلى سبيل المثال كانت منطقة أير ينمو بها النباتات والأشجار "بغير تكلف"، وكان أهل أير يبيعون هذه النباتات للرعاة، وقد تبين ذلك من خلال نازلة أفتى فيها الإمام السيوطي المتوفى عام (911هـ/ 1505م)[3]. كما ساعد على ازدهار النشاط الرعوي في مالي وصُنغي

---

(1) الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، ت 560هـ/1164م): نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، تحقيق روبيناتشى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994، ص 8؛ العمري (شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيي، ت 749هـ/1348م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وآخرين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، 2001، ص 74-75؛ كرم الصاوي: تجارة الذهب والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب ، تجارة الذهب والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب ، ندوة التواصل العربي الأفريقي، جامعة القاهرة ، مايو 2003، ص10.

(2) Timothy, I.: Op.Cit, pp. 21 – 25.

(3) أمن بن أحمد الأنصاري: تاريخ أهير، مخطوطة بقسم المخطوطات العربية والأعجمية، جامعة نيامي، النيجر، تحت رقم 60، ورقة 14.

صلاحية قطاع كبير من أرض هاتين المملكتين للزراعة[1] وتوافر المياه في المنطقة المحيطة بنهر النيجر، إضافة إلى ما وفرته الآبار من مياه عذبة خاصة في بعض المدن مثل جاو وتنبكت[2].

وكان وراء اعتناء الطوارق خاصة وأهل مالي وصُنغي بوجه عام بتربية الماشية أسباب عدة، منها أن الماشية شكلت موردًا مهمًا للألبان واللحوم والصوف والجلود[3] فقد أكدت النوازل على أهمية الرعي وتربية الماشية لدى الشرائح الأكثر احتياجًا، بل واعتمدوا عليها بشكلٍ أساسي في مأكلهم ومشربهم، ففي نازلة عرضت على الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت أشارت هذه النازلة إلى أن بعض العوام كانوا يمتلكون الإبل وبعضهم يمتلك البقر وآخرين يمتلكون الغنم، وكان هؤلاء جميعًا يعتمدون على لحوم وألبان هذه الحيوانات في قوتهم اليومي[4] ونازلة أخرى أفتى فيها الفقيه نفسه أشارت إلى اعتماد أهل البادية على اللبن كقوت ثابت لهم[5]. ويتأكد من خلال هذه النوازل مدى أهمية تربية الماشية عند العامة، خاصة مع اعتمادهم الأساسي في طعامهم وشرابهم على منتجات هذه الماشية. ولعل طبيعة المستوى المعيشي للعامة هي التي دفعتهم إلى الاهتمام بتربية الماشية التي يستطيعون من خلال تربيتهم لها الحصول على حاجتهم اليومية من المأكل والمشرب.

---

(1) محمود كعت: مصدر سابق، ص 102 – 108؛ الغلاوي (المصطفي بن احمد): العمل المشكور في جمع نوازل التكرور، مخطوطة بمعهد أحمد بابا التنبكتي، مدينة تنبكت، مالي، تحت رقم 521، الجزء الأول، ورقة 260، 261؛ الجزء الثاني، ورقة 101، 102؛ الجزء الثالث، ورقة 15، 54، 87، 88، 89؛ الجزء الخامس، ورقة 41، 284، 285.

(2) الحسن الوزان: مصدر سابق، ص 166، 169. فيليكس ديبوا: تمبكت العجيبة، ترجمة عبد الله عبد الرازق إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص 49.

(3) سيسوكو، سينيكي مودي: الصنغي من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع: أفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، ليونسكو، باريس، الطبعة الثانية، 1997، ص 214.

(4) الغلاوي: مصدر سابق، الجزء الأول، ورقة 260.

(5) المصدر السابق والجزء، ورقة 261.

وإذا كان الطوارق قد اهتموا بالرعي لملائمته لطبيعتهم؛ فإنهم لم يكونوا أهل زراعة، أي أنهم لم يقبلوا على ممارسة النشاط الزراعي، ويرجع ذلك إلى عدم ملائمة الزراعة لطبيعتهم المعتمدة على التنقل والترحال، فالزراعة تحتاج لى الاستقرار، هذا بالإضافة إلى عدم ملائمة بعض المدن المهمة التي سكنها الطوارق للزراعة، وإنما كانت مراكز حرفية وصناعية وتجارية بامتياز، ومنها مدينة تنبكت، إذ لم يكن أهل تنبكت أهل حراثة بل اهتموا بالرعي، كما أنهم عملوا في بعض الأنشطة الحرفية كالخياطة والتجارة والحدادة والجزارة والدبغ وغيرها من الحرف، وتميزوا في تلك الأنشطة. كما كان أهل البوادي والقرى أكثر اهتمامًا بالزراعة من أهل المدن الذين اهتموا بالصناعات المختلفة[1].

أضف إلى ذلك أن الغالبية العظمى من أهالي السودان الغربي عُدموا ملكية الأراضي الزراعية. لقد كانت غالبية أراضي مملكتي مالي وصنغي عبارة عن أملاك خاصة للملوك من المناسي والأساكي وبقية أفراد الجهاز الإداري في المملكتين، فقد كانت القاعدة في مملكة صنغي هي عدم التمييز بين أملاك المملكة وأملاك الحاكم. كما كانت القاعدة هناك أن فتح منطقة ما يحيل أبناءها سبايا للأسكيا يتصرف فيهم وما يملكون من الأراضي الزراعية كيف شاء[2]. وقد تمتعت الفئة الحاكمة بوضعية

---

[1] أحمد بلعراف التكني: إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط، تحقيق الهادي المبروك الدالي، سلسلة: من التاريخ الثقافي المشترك لأفريقيا فيما وراء الصحراء وشمالها، بدون ناشر، 2000، ص 52، 53.

[2] محمود كعت: مصدر سابق، ص 32. لا يعني ذلك الأمر أن شريحة الفلاحين قد خضعت للاستغلال المقنن، ولكن هؤلاء الفلاحين عبروا عن تقديرهم واحترامهم لحكامهم الذين أصبحوا ملوكهم السياسيين وهو أمر تؤكده طبيعة الأفريقي ومدى احترامه وتقديسه لشخص الحاكم من ناحية، ويؤكده الواقع العملي لهذه المجتمعات السودانية حيث قدم الفلاحون والصيادون الأحرار في صنغي فروض الولاء والاحترام والتقدير ذلك الولاء والتقدير الذي اختلف شكلاً ومضمونًا عما قدمه العبيد الذين التحقوا في أعمالهم بالطبقة الحاكمة واستفادوا كثيرًا من هذه العلاقة، انظر: محمود كعت: مصدر سابق، ص 96 – 97؛ Levtzion, Nehmia: Ancient Ghana And Mali, Africana Publishing Company, New York, 1980, p. 119

مميزة، وأصبحت هناك الملكيات الخاصة بالبيت الحاكم والتي عمل فيها قطاع كبير من أهل مملكتي مالي وصنغي سواءمن السودانيين أم من السكان الوافدين ومنهم الطوارق[1] فقد ترتب على وجود الأراضي الواسعة الممتدة على ضفتي نهر النيجر بروز مشكلة كبرى وهي نقص الأيدي العاملة، ومن ثم أوجدت الدولة حلاً لهذه المشكلة باستخدام العبيد في المزارع بأعدادٍ كبيرة، فكان بالمزرعة الواحدة من عشرين إلى مائة عبد يعملون تحت رئاسة شخص يدعى (فَنفَا) أي رئيس العبيد، والجمع (فَنَافِي)[2]، ولهذا كان عمل الرقيق في المزارع ظاهرة بارزة في مجتمع صنغي[3]. وقد عاون هؤلاء الرقيق بعض الأحرار من العامة الذين عملوا كأجراء في معظم الأحيان وكانت وضعيتهم صعبة للغاية، فكانوا يعملون مقابل قوت يومهم[4]؛ ولهذا فضل الطوارق العمل بالرعي على الزراعة.

- **أهم المراكز الحرفية للطوارق:**

ازدهرت بعض الحرف والصناعات في المدن التي فرض الطوارق سيطرتهم عليها، وفي المقابل فقد شهدت البوادي اهتمام سكانها بالزراعة والرعي. ولذلك فقد اشتهرت مدن بعينها في الأنشطة الحرفية، ومن هذه المدن مدينة جني التي تبوأت مكانة تجارية وحرفية متميزة في عهد مملكة صنغي، وتميزت هذه المدينة في بعض الحرف مثل صناعة الفخار، والخزف، والحدادة، والحياكة[5].

---

(1) المغيلي (محمد بن عبد الكريم المغيلي ت 909هـ/1503م): استنصاح السودان أحد فقهاء توات وتلمسان، تحقيق أحمد العلمي حمدان، مجلة كلية الآداب بفاس، عدد خاص حول العلاقات المغربية الأفريقية، 1989 ص 90 – 91.

(2) محمود كعت: مصدر سابق، ص 96، 97، 148. وعن كثرة أعداد الرقيق في صنغي انظر الحسن الوزان: مصدر سابق، ص 169، 170.

(3) عز الدين عمر موسى: دراسات إسلامية غرب أفريقية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 2003، ص 95.

(4) الغلاوي: مصدر سابق، الجزء الخامس، ورقة 122، 123.

(5) La Violette, A.: Ethno-Archaeology in Jenne Mali, Craft And status Among Smiths, Potters, And Masons, Cambridge Monographs In African Archaeology, 2000, p. 6.

وتعد مدينة تنبكت أحد أهم المراكز الحرفية للطوارق، فقد تميزت ببعض الحرف والصناعات واشتهرت بها، كالخياطة والتجارة والحدادة والجزارة والدبغ [1]. كما اشتهرت مدينة تادمكة بمهارة عدد من عائلات الطوارق بفن النقش على الصخور، وهو ما أثبتته الكشوفات الأثرية.[2] وكانت تغازة من أهم مراكز التعدين للطوارق، وخاصة استخراج الملح[3]، وبذلك اشتهرت المدن الكبرى بوجود طوائف من الحرفيين والصناع الذين عملوا في الحرف المختلفة.

- **أهم الأنشطة الحرفية للطوارق:**

برع الطوارق في العديد من الأنشطة الحرفية، وسوف نتناول كل حرفة منها على حدة.

تعد **الحدادة** من أبرز الحرف التي عمل بها الطوارق، وقد تمتع أصحابها بوضع متميز نسبيًا، وذلك إذا ما قورنوا بوضعية أصحاب الحرف الأخرى[4]؛ لارتباطهم بالأعيان وكبار قادة الجيش . في عهد مالي وصنغي . الذين احتاجوا إلى منتجاتهم من سيوف ودروع وسهام ورماح[5]. ولذلك قام الحدادون بصنع العديد من الأسلحة وكان أكثرها السهام التي صنعوها من قصب يطلق عليه اسم "الشركي"[6].

---

[1] أحمد بابير الأرواني: جواهر الحسان في أخبار السودان، مخطوطة بمعهد البحوث في العلوم الإنسانية، نيامي، النيجر، تحت رقم 106، ص 77.

[2] Farias, Paulo Fernando de Moraes: Arabic and Tifinagh inscriptions, Published in (Essouk-Tadmekka), Brill, Leiden, Boston, 2017, p48.

[3] السعيدي: المصدر السابق، ص 106، 107.

[4] Laviolette, A.: Op.Cit, p. 21.

[5] محمود كعت (ابن الحاج المتوكل كعت الكرمني، ت 1002هـ/1593م): تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشره هوداس ودولافوس، مطبعة إنجي، باريس، 1913، ص 55–57؛ دياين: البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية في أفريقيا خلال هذه الفترة، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الخامس: أفريقيا من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر، المشرف على المجلد ب.أ.أوغوث، اليونسكو، طبعة لبنان، 1997، ص 55.

[6] الوزان : المصدر السابق ، ص541 ؛ السعيدي : المصدر السابق، ص180.

وقد عملت طائفة الحرفيين (الإينادن) من الطوارق في مختلف الصناعات، فكان منهم الحدادون والخزافون والنجارون وصناع الجلود، وقد قاموا بصناعة كل احتياجات القبيلة من أسلحة وأواني منزلية وسروج الجمال، وغيرها. [1] والحرفيون متعلقون بأسيادهم، ولكنهم ليسوا عبيدًا، فقد يعملون أحيانًا لدي النبلاء دور أمين السر والمستشار.[2]

كما صنع الحدادون الفؤوس والسكاكين والأقفال والمجارف وغيرها، كما قاموا بتشكيل وصناعة أدوات الزينة من الحديد وإن كان استخدام النحاس المزخرف هو الأكثر شيوعًا في صناعة تلك الأدوات[3]. ولذلك لقى الحدادون احترامًا كبيرًا من واقع خبرتهم ومهارتهم في صناعة الحديد[4]. وقد اهتموا بصناعة السيوف، فكان من عادة الطارقي حمل خنجر أو سيف معه دائمًا. [5]

ولعل ما يشير إلى أهمية حرفة الحدادة في مجتمع السودان الغربي ما أشار إليه كعت بشأن بعض القبائل التي كانت تعمل في حرفة الحدادة، فذكر أن أسكيا محمد الأول عندما انتصر على سني بارو، ورث أربعة وعشرين قبيلة دخلوا جميعًا في ملك هذا الأسكيا، الذي استفاد من هذه القبائل، فعملت القبائل السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة والحادية عشرة في الحدادة، وهي قبائل جم تين، وجم ول، وسربني، وقبيلة

---

(1) Jacques, H :.Les Medecines Touareges traditionnelles, Kharthala, Paris, 2000, p.30.

(2) Berland, J. C. and Aparnarao: Customary strangers new perspectives on peripatetic people in the middle east Africa and Asia British library cataloguing in publication, London, 2004, p.145.

(3) Laviolette, A.: Op.Cit, pp.38- 39.

(4) Levtzion, N.: Op.Cit, p. 119; Mourgues, G.: Moyen Niger Et Sa Boucle Dans La Region De Tombouctou, Paris, 1933, p. 90.

(5) إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 185،

- Murphy, R. F.: "Tuareg Kinship", American Anthropologist, New Series, vol.69, No.2 (Apr.1967), p.35.

سمثاك، وكُم. ويشير كعت إلى أن هؤلاء القبائل الخمس كلهم أبوهم واحد وهو"عبد المنصاري" الذي كان يعمل بالحدادة وهرب من جزر المحيط الأطلسي إلى جاو. وكان على هذه القبائل أن تقدم للأسكيا مائة رمح ومائة سهم كل عام[1]. وهذا يؤكد أهمية حرفة الحدادة، ويفسر اهتمام أهل مملكتي مالي وصنغي بها، ومنهم بطبيعة الحال الطوارق الذي استفادوا من مهارتهم في صناعة الأسلحة نتيجة طبيعتهم الحربية.

أيضًا تمتع الحدادون بوضع مميز، نظراً لوظيفتهم التقنية العالية التي احتاجت إليها الطبقة الثرية من الأعيان، ولذلك حظوا بحماية تلك الطبقة في كثيرٍ من الأحيان، نظراً للحاجة الملحة إلى مهارة الحدادين في صهر المعادن، وتشكيل الحديد الخام، ومن ثم تمتعوا بامتيازات كبيرة ميزتهم عن أقرانهم من أبناء الحرف الأخرى[2].

ومن الجدير بالذكر أن الحدادين اهتموا بنشاط آخر بجانب مهنتهم، فكانوا يغنون ويعزفون في المناسبات الاجتماعية والدينية للطوارق. [3]

وقد عمل الطوارق كذلك في حرفة صهر الذهب وسبكه وسك العملة، فقد اتفقت المصادر الجغرافية والتاريخية وكتب الرحالة على كثرة معدن الذهب في بلاد السودان الغربي. وقد اشتهر طوارق تادمكة بحرفة صهر الذهب وسبكه، ساعد على ذلك وقوع

---

[1] كعت: مصدر سابق، ص 55، 57، 58؛ بانيكار ك. مادهو: الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غربي أفريقيا، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1995، ص 418.

[2] Willard, A. L.: Rivers of Gold, Oceans of Sand: The Songhay in The West African World- System, Doctor of Philosophy, The John Hopkins University, Mary Land, U.S.A, 1999, p. 84.

[3] ماني الشاوي اللإله: نبذة مختصرة عن قبائل طوارق آزجر بالجماهرية العظمي حدودهم وعاداتهم وتقاليدهم الشعبية القديمة وأهمية موقعهم الاستراتيجي، 2005، ص 7؛ محمد السعيد القشاط: المرجع السابق، ص97.

- Monger, G. P.: Marriage customs of the world (An Encyclopedia of dating customs and wedding traditions, Seconds Edition, vol.2, ABC- Clio, England, p.64; Prasse, K. – G: Op.Cit,p.40.

تادمكة إلى الشمال من أهم حقول استخراج الذهب، وهو حقل سربا Sirba[1]، بل وبالقرب من واحدة من أهم محطات تجميعه وتجارته عبر الصحراء، وهي مدينة جاو التي تبعد عن تادمكة بتسعة أيام[2].

وبالرغم من ذلك تصمت المصادر عن ذكر أي معلومات تتعلق بوجود حرفة لسبك الذهب وصهره، على نحو يحمل على الاعتقاد بأن خام الذهب كان يستخرج من مواقعه، ثم يصدر إلى الشمال دون دخوله في أية صناعات، أو دون إجراء أية عملية لصهره وتنقيته من الشوائب.

أيضًا لم تقدم المصادر الجغرافية وكتب الرحلات أية دليل على وجود ضرب للعملة الذهبية في بلاد السودان، أو في المدن والممالك الصحراوية، بالرغم من توافر مقومات هذه الحرفة وأهمها معدني الذهب والنحاس، لكن البكري ينفرد بوصفٍ دقيق لوجود عملة استخدمت في تادمكة خلال القرن الخامس للهجرة، عبارة عن دنانير ذهبية غير مسكوكة أو غير مختومة تسمى "الصُلع"[3]. وتلك الإشارة هي الوحيدة في المصادر التي تثبت التعامل بالعملة المعدنية في ممالك الصحراء وبلاد السودان حتى القرن العاشر للهجرة، حينما شاهد الوزان (المتوفى عام 960هـ/1552م) بنفسه تعامل أهل

---

(1) Nixon, Sam. Trans-Saharan Gold Trade in Pre-Modern Times Available Evidence and Research Agendas, In: Leitch, Mattingly and Others (Editors): Trade in the Ancient Sahara and Beyond, Cambridge University Press, USA, 2017, p.169.

– بطل شعبان محمد غرياني: جوانب من تاريخ مملكة تادمكة في ضوء نتائج الحفائر الأثرية وشواهد القبور من منتصف القرن الثالث حتي نهاية القرن السادس للهجرة 9– 12، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الحولية 43، الرسالة 605، 2022، ص53.

(2) البكري. المصدر السابق، ص183.

(3) البكري: المصدر السابق، ص181؛ مجهول. كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشئون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، 1983، ص223؛ الحميري (محمد بن عبد المنعم الحميري، ت 900هـ/1494م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى1975، ص129،128.

تنبكت وجني بدنانير ذهبية غير مختومة[1]. فهل كان البكري مخطئًا حينما انفرد بهذا الخبر في القرن الخامس؟

أثبتت نتائج الحفائر صحة ما ذهب إليه البكري، إذ اكتشف في موقع الحفر في تادمكة عملات ذهبية غير مختومة، وبالتالي تتفق هذه النتيجة مع ما أورده البكري حول دنانير تادمكة المسماة بالصلع[2]، ويتبين أيضًا وجود دليل على ضرب العملة الذهبية في تادمكة.

وتمدنا نتائج الحفائر بتفاصيل مهمة حول هذه الصناعة، بدءًا من عملية صهر الذهب وتنقيته من الشوائب وانتهاء بضرب العملة الذهبية، فقد اكتشفت بقايا أفران من الطين المحروق لصهر الذهب في درجات حرارة عالية، إذ كان صهر المعدن وإذابته يتطلب درجة حرارة تتراوح من 1050 إلى 1100 درجة مئوية[3].

ثم تأتي مرحلة ضرب العملات في قوالب مصنوعة من الخزف، دل على ذلك اكتشاف ثلاثة قوالب خزفية لضرب العملة الذهبية في موقع تادمكة، وباستخدام التأريخ الإشعاعي (Radiometric Dating)[4] تبين أن هذه القوالب ترجع للقرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين[5]، وتحديدًا خلال الفترة الممتدة مابين

---

(1) الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص163، 167.

(2) Nixon, Sam, Rehren, Thilo & Guerra, Maria. Op.cit, p.1364.

(3) Rehren, Th, Nixon, Sam. Op.cit, p.35, Nixon, Sam, Rehren, Thilo & Guerra, Maria. Op.cit, p.1361.

(4) التأريخ الإشعاعي، أو قياس العمر إشعاعيًا هو طريقة تستخدم لتقدير عمر المواد، وتعني تحديد العمر بالطريقة الراديومترية (الإشعاعية). وذلك باستخدام الكربون 14 المشع، انظر صدقي، محمد كمال. معجم المصطلحات الأثرية، مطبوعات جامعة الملك سعود، 1988، ص188؛ السلامين، زياد. معجم المصطلحات الآثارية المصور، دار ناشري للنشر الإلكتروني، 2012، ص200.

(5) أشار الدكتور إبراهيم السلمي إلى أن تاريخ هذه القوالب يرجع للقرنين الثاني والثالث للهجرة/التاسع والعاشر للميلاد، والصحيح وفقًا لتقارير الحفائر أنها ترجع للقرنين الثالث والرابع للهجرة/التاسع والعاشر للميلاد، انظر: بطل شعبان: المرجع السابق، ص298.

عامي 236–339هـ/850–950م[1]، أي قبل أن يكتب البكري عن دنانير تادمكة بأكثر من قرن. وهذا يؤكد استمرارية هذه الحرفة بالغة الأهمية خلال القرون التالية نتيجة تميز موقع تادمكة بالقرب من أهم حقول استخراج الذهب، وهذا يفسر استمرار بعض طوارق تادمكة في سكنى المدينة حتى القرن التاسع للهجرة رغم هجران أغلب سكانها لها بفعل التصحر والجفاف، دل على ذلك وجود شواهد قبور لمتوفين خلال القرنين الثامن والتاسع للهجرة[2].

وعمومًا يتبين من المكتشفات الخاصة بسبك الذهب وضرب العملة مهارة حرفيي تادمكة في سبك معدن الذهب وإذابته وتنقيته تمهيدًا لضرب العملة، إذ كانوا يستخدمون الزجاج المنصهر لتنقية الذهب من الشوائب، بدليل العثور على بوتقة عليها بقايا زجاج لونها أزرق فاتح، وأخرى لونها أخضر، وعلى سطح البوتقات بعض حبيبات الذهب النقية[3].

---

(1) Nixon, Sam, Rehren, Thilo & Guerra, Maria. Op.cit, p.1357, Insoll, Timothy. Archaeological Research In Timbuktu, Mali, Antiquity, No.72,1998, St Johns College, England, p.256.

(2) هناك عدد آخر من شواهد القبور لرجال وسيدات توفوا خلال القرنين السابع والثامن للهجرة، وتحمل هذه الشواهد نفس الصيغ والدلالات الدينية التي حملتها شواهد القرنين الخامس والسادس للهجرة، منها شاهد لسيدة توفيت عام 609هـ. وشاهد آخر لرجل توفي عام 642هـ. وآخر توفي عام 648هـ، وشاهد آخر لرجل توفي عام 672هـ، وآخر توفي عام 680هـ، وآخر توفي صاحبه عام 688هـ، انظر:

- Farias, P.F.de Moraes. Arabic Medieval Inscriptions From The Republic Of Mali, Sudanic Africa, No.15(2004), pp.110, 112-115, 137.

وهناك شواهد لمتوفين خلال القرن الثامن للهجرة أحدها لرجل توفي عام 742هـ، وآخر لسيدة، وأرخ بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعام 757 أو 759هـ، وشاهد آخر لرجل توفي عام 787 أو 789هـ، انظر:

- Farias. Arabic Medieval Inscriptions, pp.117, 118, 143.

– بطل شعبان: جوانب من تاريخ مملكة تادمكة، ص127.

(3) Rehren, Th., Nixon, Sam. Op.cit, p.35.

ونتيجة مهارة حرفيي تادمكة في صهر الذهب وسبكه، وصلت نسبة نقاء الذهب المستخرج من تادمكة لحوالي 98%، وأقل نسبة نقاء لم تقل عن 94%. وهي أعلى درجة نقاء في خام الذهب الذي تم اكتشافه في المواقع المختلفة في غربي أفريقيا[1].

وتشهد هذه المكتشفات على أن اقتصاديات الذهب لم تقف عند مجرد استخراجه ثم بيعه للتجار القادمين من الشمال سواء من بلاد المغرب الإسلامي أم من مصر. فالمسألة كانت أكثر تطورًا من الناحية الاقتصادية والحرفية. وهكذا يبدو جليًا استفادة التادمكيين من توافر معدن الذهب بكثرة، فقاموا بصهره وتنقيته، ثم ضربوا الدنانير غير المسكوكة. ومن هنا نطرح سؤالاً مهمًا لماذا لم يختم التادمكيون عملتهم بأية أختام، ولماذا جاءت خالية من أية كتابات؟

لم يأت ضرب دنانير تادمكة على هذا النحو اعتباطًا، ذلك أن الدنانير غير المختومة كان الهدف منه تسهيل حركة التجارة الواسعة عبر الصحراء، فتلك الدنانير الخام غير المختومة كانت ذات قيمة مادية كبيرة بالنسبة للمستوردين من بلاد المغرب والأندلس، فلم يكن يكلفهم الأمر سوى ختمها لتصبح عملة ذهبية على درجة عالية من النقاء، بدلاً من إعادة صهرها وتنقيتها من جديد، وبالتالي كان من السهل على السلطات الحاكمة في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس سك عملات باسمهم[2].

---

(1) Nixon, Sam. Trans-Saharan Gold Trade, p.171.

(2) Nixon, Sam, Rehren, Thilo & Guerra, Maria. Op.cit, p.1364.

تدلنا بعض الأرقام والإحصاءات على ما أحدثه الذهب السوداني من ثراء في العالم الإسلامي، ففي الأندلس عثر في خزينة الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث (316–350هـ/929–961م) بقرطبة بعد وفاته على خمسة ملايين دينار أو ما يعادل 250 قنطارًا من الذهب المسكوك أو ما يساوي 25 ألف كيلو جرام. انظر: لومبارد، موريس. الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، ط2، دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، 1998، ص159.

ويقدم الفاطميون دليلاً آخر، فقد ازداد سك العملة الذهبية في عهدهم، فبعد أن احتكروا الذهب السوداني الذي منحهم القوة والثراء في القرن العاشر، ضربوا الكثير من النقود الذهبية، ففي النصف

بالإضافة لضرب العملات الذهبية في تادمكة تؤكد نتائج الحفائر ضرب عملات نحاسية وفضية، إذ عثر على ست عملات نحاسية وفضية ترجع للفترة ما بين عامي 494–803هـ/1100–1400م[1]. وكان الهدف من ضرب هذه العملات هو تسهيل عملية التبادل التجاري.

هكذا يتبين وجود حرفة لصهر الذهب وتنقيته من الشوائب في تادمكة، بالإضافة إلى قيام التادمكيين بضرب العملات الذهبية والنحاسية والفضية.

وبالإضافة لصهر الذهب وسبكه وسك العملة، اهتم الطوارق **بصنع أدوات الزينة**، فقد اهتمت المرأة الطارقية بزينتها، فحرصت نساء الطوارق– والفتيات منهن بصفة خاصة– على الظهور دائمًا بكامل زينتهن، فكانت الفتيات يضعن خرز في ضفائرهن المضفرة بعناية كبيرة، وتتدلي على جبهتها مصوغة ذهبية على شكل تاج أو نجمة، وتتدلي الأقراط الذهبية من أعلي الأذن. [2] أما زينة المرأة الكبيرة، فقد اهتمت كالفتيات بلبس الخلاخيل في الساقين والأساور الفضية في المعصمين، والخواتم في الأصابع. [1]

الأول من القرن المذكور استولى الفاطميون على القيروان، ثم زحفوا باتجاه سجلماسة، وبهذا أصبحوا سادة الطرق المؤدية لبلاد السودان. وفي أواسط القرن نفسه بلغت كمية النقد المسكوك في سجلماسة 400 ألف دينار سنويًا.

وازدهرت دار السكة المصرية في العهد الفاطمي، وشهد ضرب العملة الذهبية أوج تطوره بمصر في عهد الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله (495–524هـ/1101–1130م)، الذي ينسب إليه الدينار الأميري، نتيجة كثرة الذهب الذي توفر له.

– انظر، ابن بعرة (منصور بن بعرة الكاملي ت1136هـ) كتاب كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية، حققه عبد الرحمن فهمي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1966، ص49–51؛ لومبارد، موريس. مرجع سابق، الصفحات: 88، 157–159.

بطل شعبان: جوانب من تاريخ مملكة تادمكة، ص114، 115.

[1] Nixon, Sam, Rehren, Thilo & Guerra, Maria. Op.cit, p.1360.

– بطل شعبان: جوانب من تاريخ مملكة تادمكة، ص57.

[2] محمد السعيد القشاط: المرجع السابق، ص102،

اشتغل الطوارق أيضًا في التعدين وحمل الملح، فقد كانوا يحملون ألواح الملح من معدن تغازة في ظل ظروف قاسية[2]، فكان الطوارق يحملون الملح على جمالهم من تغازة إلى صنغي جنوبًا، وقد قتل عدد كبير من حمالي الملح من الطوارق بأمر من السلطان السعيدي مولاي أحمد، وهرب عدد منهم إلى صنغي على أيدي المغاربة في عام 964هـ/1556م، وكان ذلك في عهد الأسكيا داوود، وذلك إبان محاولة المغرب الاستيلاء على مناجم الملح من صنغي[3]، وقد قام الطوارق باستخراج الملح من منجم تغازة الغزلان، الذي سمي بذلك تمييزًا له عن معدن تغازة الأصلي، وذلك بعد أن أذن لهم الأسكيا داوود، ويدل ذلك على اعتمادهم على حرفة تعدين ونقل الملح[4].

حرفة البناء:

تعد حرفة البناء من الحرف الضرورية للعمران، ولا تحتاج لأدلة على وجودها برغم ندرة إشارات المصادر حولها. وقد عُد البناءون من أهم العناصر الحرفية في مجتمع الطوارق ببلاد السودان الغربي، ولم تكن حكرًا على جماعات بعينها، وقد أكد كعت أن أسرًا بأكملها كانت تعمل في حرفة البناء[5].

وبالرغم من ندرة الإشارات المصدرية، تأتي نتائج الحفائر الآثارية لتسد هذا النقص من جديد، فكان للطوارق إسهامات مهمة في مجال العمران، بدليل اكتشاف آثار لمسجد

- Nicolaisen, J.: The Pastoral Toareg: Ecology, Culture and Society, 1997, p.83.

(1) النويري (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، ، ج18، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ ، ص100.

(2) Cline, E. And Takacs, Sarlota: The Ancient World, Vol.1: Civilizations Of Africa, Sharpe Referece, Malaysia, 2007, p. 86.

(3) السعيدي: مصدر سابق، ص 106؛ عبد القادر زبادية: مرجع سابق، ص 46.

(4) السعيدي: المصدر السابق، ص 106، 107.

(5) كعت: مصدر سابق، ص 61، 62.

- Laviolette, A. : Op.Cit, p. 72.

جامع في الجنوب الشرقي من موقع تادمكة/السوق[1]، وباستخدام الكربون المشع تبين أن هذا المسجد يرجع تاريخه للقرنين الخامس والسادس للهجرة[2].

أيضًا يحسب للطوارق بناء مسجد بمدينة أقدز، لأن المسجد كان لا يكفي المصلين، فتم بناء مسجد جديد لكي يسع خمسمائة مصلي[3]. كما إن حاكم مدينة جني الطارقي عقب إسلامه قام بتحويل دار سلطنته إلى مسجد، أصبح المسجد الجامع للمدينة[4]. أيضًا هناك مسجد سنكري في مملكة صنغي، وهذا المسجد بنته سيدة تعرف باسم "سنكري"، وهي سيدة ثرية أغلالية، تنسب إلى قبيلة الأغلال إحدى قبائل الطوارق، وقد تم بناء هذا المسجد في شمالي مدينة تنبكت[5]. وهذا يؤكد أهمية حرفة البناء عند الطوارق.

بالإضافة للمساجد أسس الطوارق بعض الدمدن المهمة، فقد أسس طوارق مقشرن مدينة تنبكت في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي؛ لتكون مشتي لهم عندما يغادرون جهات أروان في الأشهر الأولي من العام، وما لبث أن قصدها التجار العابرون للصحراء الكبرى بتجارتهم إلى السودان الغربي، وحولوا تجارتهم إليها، وبدأوا في تعميرها.[6]

---

(1) Cressier, Patrice. "Archéologie de la dévotion Soufi", Journal des Africanistes, Vol. 62, No.2, Year 1992, p.71.

(2) Nixon, Sam. Excavations in the Mosque Quarter, p.58.

(3) إصلاح محمد البخاري حمودة: انتشار الإسلام والثقافة العربية ما وراء الصحراء (تنبكت – غدامس نموذجًا (7–11هـ/ 13–17م)، ط1، دار الكتب الوطنية، 2004، ص185 – 187.

(4) Canal, Jean Suret: Afrique noire occidentale et central, Edit Social Paris, 1961, p.158

(5) السعيدي: مصدر سابق، 7، 56.

- Hunwick, John: Timbuktu, A Refuge Of Scholarly And Righteous Fulk, Sudanic Africa, Issue. 14, 2003, p. 15.
- Niane, D.T,Le Soudan occidental au temps des grands empires, XIe- XVIe siècles, Paris, Presences, Africaine, 1975,p.234.

(6) السعيدي: المصدر السابق، ص 164، دائرة المعارف الإسلامية، مادة تنبكت، ص 465، جبريل ت. نياني: مالي والتوسع الثاني للماندانغ، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع : أفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، ص 133.

وكان الطوارق عندما سكنوا المدن يبنون بيوتهم من الطين، ويسقفونها بالقش، فقد وصف الحسن الوزان (ت 960هـ/1552م) بيوت تنبكت عندما زارها في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، فذكر أنها أكواخ مصنوعة من أعمدة مطلية بالطين، ومسقوفة بالقش[1]. بعد ذلك تطور البناء في السودان الغربي بفضل قدوم بعض الأندلسيين والمغاربة، ومثال ذلك بناء المسجد الجامع لمدينة تنبكت الواقع في وسط المدينة، وقد استخدم في بناءه حجارة منحوتة من طين الكلس، كما بني قصر الملك، وهو قصر كبير، وكان بها كثير من دكاكين التجار والصناع والخياطين، ويكون إمدادها بالماء عن طريق قنوات متصلة بنهر النيجر، بالإضافة إلى وجود عدة آبار مياه عذبة. [2] وبذلك تطورت حرفة البناء عند الطوارق بتأثرهم بالمعمار الأندلسي. وكان قدوم المعماري الأندلسي أبو إسحق الساحلي في عهد عمر بن محمد النض[3] نائب زعيم الطوارق، الذي كان مقره في قصر تنبكت الذي بناه أبو إسحق الساحلي.

كما بني الطوارق مدينة جني، التي تعد من المدن المهمة في السودان الغربي، وقد بنيت على الضفة اليمني لنهر باني أحد فروع نهر النيجر في منطقة تتشعب فيها الروافد، مما اكسب المدينة حماية طبيعية، كما سمح لمياه الفيضان أن تروي الحقول

---

[1] يعد المهندس المعماري الأندلسي أبو إسحاق إبراهيم الساحلي الغرناطي المعروف بالطويجن، التقي به سلطان مالي منسي موسي في مكة المكرمة للحج عام 724هـ/1324م، فدعاه لمرافقته إلى مملكته في بلاد السودان الغربين فبقي بها حوالي ثلاث عشرين سنة حتي وفاته عام 747هـ/1346م، وقد أشرف على بناء عمارة مساجد مدينتي جاو وتنبكت، وأدخل البناء بالطوب المحروق، وأدخل عمارة الأسقف المسطحة للمنازل والمآذن الهرمية. انظر: ابن بطوطة: مصدر سابق، ص672؛ خالدي مسعود: أبو إسحاق إبراهيم الساحلي الأديب والمهندس المعماري وأثره في نشر فن العمارة الإسلامية في السودان الغربي، دورية كان التاريخية، السنة العاشرة، العدد السابع والثلاثون، سبتمبر 2017، ص ص 133–137.

[2] الوزان: مصدر سابق، ص540.

[3] الوزان: المصدر السابق، ص541؛ ابراهيم طرخان: دراسات في تاريخ أفريقية الإسلامية، ص211.

- Okafar,A : History of west Africa (in the west Africa), P.77.

والحدائق الملحقة بالبيوت بشكل منتظم، مع إمكانية التحكم في الفيضان نفسه، وقد اختطها طوارق صنهاجة لتكون مركزًا لتجارة الملح والذهب، وكان يحكمها حاكم مستقل، لقب بالسلطان، فتشير المصادر السودانية إلى ملك اسمه كنبر الذي أعلن اسلامه في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي[1]، وحول دار السلطنة إلى مسجد، وبني بيته بجواره، وكان يتبعه سبعة آلاف قرية، وقد قام بتحصين مدينته، وبني الأبراج حول المسجد، وشرع في بناء سور المدينة الذي لم يكتمل إلا في عهد ابنه آدم، وقد ظلت جني تابعة للطوارق حتي استولي عليها سني علي (869– 898هـ/ 1464–1492م) من سلطانها عبد الله بن السلطان أبي بكر. [2].

واتخذت المدينة شكلاً بيضاوياً تبعًا لخط سير النهر حولها، وبني السور عند الضفة اليمني، أما أحياء المدينة فقد تحلقت في البداية حول المسجد الواقع في وسط المدينة، ثم امتدت في اتجاه الشرق، ثم جهة الغرب، وأهم أحيائها حي المغاربة، وهو حي المسجد الأعظم، وحي القصبة الغربية بالقرب من الميناء في الجنوب الشرقي، أما الأحياء التجارية الثلاثة بالمدينة فقد قامت حول القصبة، وهي سامسي ووسيمان وفارمانتالا، وأنشئ جنوب المسجد حيان كبيران للعبيد والمزارعين ورجال القبائل السوداء كونوفيا وجوربور، وقامت في الشمال أحياء الصناع والحرفيين وصغار التجار، وهي أحياء كورانري وكويتان دمي ودمبوكال، هذا بالإضافة على حي العلماء والفقهاء المسمى حي كوري، وقد سكن الحاكم والقادة العسكريين القصبة [3]. وتلك الدقة في اختيار موقع البناء وطريقة التصميم تعبر عن مهارة البناءين الطوارق وتقدمهم في تلك الحرفة.

---

(1) Canal, Jean Suret: Afrique noire occidentale et central, Edit Social Paris, 1961, p.158.

(2) السعيدي : المصدر السابق، ص 11، 12.

(3) السعيدي : المصدر السابق، ص 7.

- Monteil Ch.: De Saint – Louis a Tripoli par le Lac Tchad, Paris. 1894, p.83

اعتمد البناءون الطوارق على معطيات البيئة المحلية، فقد عُثر في موقع تادمكة على بقايا مباني استخدم فيها الطوب المصنوع من الجص الملون باللونين الأبيض والأحمر، وهذا الإنتاج من موارد البيئة الطبيعية التي كانت أكثر سهولة وفي متناول الفقراء[1]. كما اكتشفت بعض الغرف المبنية بالأحجار، استخدم بعضها للسكن وأخرى لأغراض تجارية، إذ عُثر في إحدى هذه الغرف على بقايا قطع ذهبية، وخرز زجاجي، وشظايا من الخزف المزجج[2]. ومن هنا نرجح أنها كانت تستخدم لأغراض تجارية، وأن النشاط التجاري أسهم في ازدهار بعض الحرف ومنها حرفة البناء.

لقد اعتاد الطوارق في البادية على الإقامة بالخيام، في الشتاء والربيع.[3] أما في الصيف فقد سكنوا الزرايب، التي كانوا انشأوها من مكونات البيئة الطبيعية من أعواد الأشجار والنباتات والقش، ولإقامتها ينصبون أربعة أعمدة طويلة ارتفاعها متر وعشرين سنتيمتر، وتكون مرتكزة في الأرض الرملية، وتحاط بحاجز من الحصر، وذوي الحال المتيسر يسقفونه بمظلة فوق حاجز الحصير، ولأن هذه الزرايب كان من السهل فكها ونقلها عند الترحال، فقد كانت ملائمة لطبيعة الطوارق التي تعتمد على التنقل والترحال وعدم الاستقرار في مكان بعينه[4]، كما سكنوا الكهوف والمغارات بالجبال، التي اعتادوا الإقامة بها منذ عصور بعيدة. وغالبية الفقراء سكنوا هذه المساكن، أما الخيام المصنوعة من الجلد السوداني فهي للطبقة العليا من الطوارق. [5] أما مطابخهم فبنيت على شكل دائرة من الحجارة يقل ارتفاعها عن المتر، وتكون بعيدة عن المسكن، ويسمونها إكديون أي الحجارة. [6]

---

(1) Insoll, Timothy. Trans-Saharan Trade and Islam, p.559.

(2) Nixon, Sam, Rehren, Thilo & Guerra, Maria. Op.cit, p.1358.

(3) Mickelsen R., N.: Tuareg jewelry, African arts, vol.9, No.2 (Jan.1976), p.11.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص، السعيدي: المصدر السابق، ص74.

(5) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 696؛ عبد القادر جامي: من طرابس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة محمد الأسطى، طرابلس، دار المصراتي للطباعة والنشر، 1974، ص173.

(6) الشاوي اللإله البكاي أماهين: المرجع السابق، ص 282.

وهكذا تميزت مساكن الطوارق بالبساطة، فمساكنهم تكونت من الخيام المصنوعة من الجلود؛ ليسهل عليهم حملها عند الارتحال، وعلى الرغم من أن الترحال هو الأساس في حياة الطوارق، ولكن بناء المسكن تطور عندهم عقب اقامتهم وانشاءهم لعدد من القري والمدن، والتي اتخذوها في البداية، خصوصًا في المنطقة ما بين تنبكت وأروان. [1]

أيضًا كانت حرفة **الحياكة والنسيج** من بين الحرف المهمة، وضمت تنبكت ستة وعشرين بيتًا من بيوت الخياطين المسماة "بتِندِ"[2]. وكان للمرأة دورها الفعال في حرفة النسيج، فالنساء كن يقمن بتنظيف القطن وحلجه وإعداده لمرحلة الحياكة التي كانت تجرى على أنوالٍ مثبتة في الأرض. وكان القطن عند وصوله إلى دكان الحياكة يترك في البداية للنسوة اللائي كن يأخذن أزهاره ويضعنها على الأرض في حجرة ملساء ثم يمرون على القطن بقطعة من الحديد عدة مرات حتى تنفصل عنه بذوره، وبذلك يكون القطن مهيئًا لمرحلة الحياكة[3].

ومما يؤكد أهمية هذه الحرفة عند الطوارق أن ملبسهم يعد جزءًا مهمًا من تقاليدهم، وخصوصًا اللثام الذي يرتدونه بصفة مستمرة، وقد عرف الطوارق عن غيرهم من القبائل الأخرى باللثام منذ أقدم العصور، ولذلك سموا باسم الرجال الملثمين، أو الرجال الزرق. [4]. وفي سبيل هذا اهتم الطوارق بحرفة الحياكة والنسيج.

---

[1] النويري (أ حمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، ، ج18، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ ، ص100.

[2] كعت: مصدر سابق، ص 180.

[3] أحمد درويش: دور المرأة السياسي والحضاري في دولتي مالي وصنغي (636 – 1000هـ/1238– 1591م)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 2007، ص 64.

- Shillington, K.: History of Africa, Macmillan, 1995, p. 104

[4] الشاوي الإله البكاي أماهين: المرجع السابق، ص282.

وبجانب الملابس صنع الطوارق المفروشات المنزلية البسيطة التي استخدموها في حياتهم اليومية، وأهمها (أسوس، ولايها) وهو نسيج تغطي به القصاع وغير ذلك، هذا بالإضافة إلى الخيام.[1]

أما بالنسبة **للصناعات الجلدية** فقد توافرت مقومات هذه الصناعة –لا سيما الجلود– في مدن وممالك السودان الغربي، نتيجة وفرة الماشية ونتيجة اعتماد الطوارق على النشاط الرعوي كحرفة أساسية، وعلى لحوم الماشية وألبانها كغذاءٍ رئيس كما سبق القول[2].

وتتبع أهمية هذه الحرفة من طبيعة عمل أصحابها في توفير الكساء الذي كان يصنع في الغالب من الجلود. ولذلك فقد استفاد البعض من بيع جلود الحيوانات نظرًا لشدة طلب هؤلاء الحرفيين عليها، فكان يتم بيع هذه الجلود أو مبادلة الجلود التي لم تدبغ بنوع من أنواع الطعام، بل إنه للأهمية البالغة التي حظيت بها جلود الحيوانات فقد كان البعض يستبدلها بشاة حية، وهو الأمر الذي أكدته بعض النوازل التي عرضت على الفقيه محمد بن أحمد الونكري (كان حيًا عام 1040هـ/ 1630م)[3]. ومما يؤكد أهمية الجلود أيضًا أن البعض كان يبيع الشاة ويستثني منها الجلد[4].

وقد صنع حرفيو الطوارق الدروع الجلدية، وتتميز برخص أثمانها وتوفرها في الأسواق المحلية مقارنة بتلك المصنوعة من الحديد أو النحاس. وكانت تصنع تلك الدروع من جلد اللمط[5] والماعز والغزال[1].

---

(1) محمد السعيد القشاط: المرجع السابق ،ص93– 95؛ Prasse, K. – G: Op.Cit,p.39,40.

(2) البكري. المغرب، ص181؛ مجهول. كتاب الاستبصار، ص223.

(3) الغلاوي، المصطفي بن أحمد: العمل المشكور في جمع نوازل التكرور، مخطوطة بمعهد أحمد بابا التنبكتي، مدينة تنبكت، مالي، تحت رقم 521، ج1، ورقة 54؛ بطل شعبان: العامة في دولة صنغي (869 – 1000هـ / 1464 – 1591م)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 2011م ، ص84.

(4) الغلاوي: مصدر سابق، ج1، ورقة 54، 64 – 65.

(5) حيوان اللمط من إحدي غرائب المغرب، يسكن الصحاري، يصنع من جلدع الدَّرق أي الدروع، لما تميز به أنه إذا أصابته ضربة سيق التحمت الضربة من وقتها واختفت تمامًا. انظر: ابن هذيل

وقد استخدم الطوارق جلود الحيوانات البرية التي يصطادونها في صناعة الدروع الجلدية التي يرتديها الراجلة من أفراد الجيش، وكثرة صيدهم مما أدى إلى رخص ثمنها وتوافرها في الأسواق المحلية، وكانت تلك الدروع تصنع في الغالب من جلد حيوان يسمى "اللمط" وجلد الماعز والغزال، وكان الطلب متزايد على جلود الحيوانات المفترسة من قبل التجار المغاربة، إذ لم يكن هذا النوع من الجلود متوافرًا في بلاد المغرب، ولذا كان جلد اللمط من أشهر السلع التي جلبها التجار المغاربة من بلاد السودان الغربي[2]. ولكي تبقى هذه الجلود صالحة للاستخدام لفترات طويلة كان يتم طلاءها بالزيوت أو شحوم الحيوانات لكي تبقى مطاطة يصعب اختراقها بالسيوف أو السهام أو الحرشان[3].

ومن أهم المصنوعات الجلدية صناعة الصنادل، التي كان يرتديها كل الرجال، وكانت تصنع من جلد البعير، وتكون واسعة. [4] كما صنعوا ايغيتمن "التنبه": وهو حذاء يصنع من جلد الإبل أو البقر، شكله جميل يلبسه الرجال والنساء الطوارق. [5]

(علي بن عبد الرحمن بن هذيل الفزاري الأندلسي توفي بعد عام 763هـ): حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار المعارف ، (د.ت)، ص52

[1] الإدريسي: المصدر السابق، ص24–25 .

[2] بوفيل: الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، ترجمة زاهر رياض، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968، ص 145.

[3] الإدريسي: المصدر السابق، ص 24– 25؛ سيسوكو: مرجع سابق، ص 212.

الحرشان: مفردها حريش، وهو من الأسلحة التي استخدمها جيش صنغي بجميع فرقه وقواته، وإن اختلفت الحرشان التي كان يستخدمها الفرسان عن تلك التي استخدمها الراجلة من حيث النوع والعدد والدقة في إصابتها للهدف ومن حيث كونها مسمومة أم لا، انظر: كعت: مصدر سابق، ص 128 –129؛ السعيدي: مصر سابق، ص 82.

[4] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 185، Murphy, R. F.: Op.Cit, p.35.

[5] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 185، Murphy, R. F.: Op.Cit, vol.69, p.35.

وبجانب الأحذية صنع الطوارق الحقائب الجلدية التي كان لها استخدامات متعددة في حياتهم اليومية، وأهمها (تشايهات) وهي حقائب جلدية تضع فيها لوازمها، كما هتموا بصنع المخدات الجلدية التي كانت تسمي عندهم (أمغار).[1]

وقد كان للتجارة عبر الصحراء أثر كبير في ازدهار الصناعات الجلدية، فقد قام صانعو الجلود بصناعة بعض الأشياء التي يحتاج إليها المسافرون من التجار مثل سروج الجمال والخيول، وأغماد السيوف بالإضافة إلى النعال الجلدية[2].

ومن أهم المصنوعات الجلدية للطوارق الخيام التي كانت مسكنهم في البادية، اتخذوها من جلود الحيوان بعد دباغتها وتلوينها بصبغة حمراء تسمي "تامجهويت"، يستخرجونها من طبقة غير عميقة من الأرض، وأحيانًا يجدونها في شكل كور صغيرة تحت سطح الأرض، رافعة ما كان فوقها من التربة إلى الأعلى قليلاً، ثم يخيطونه ويزينونه بخطوط، وبين كل جلد وآخر شراشيب من الجلد نفسه، ويرفع على أعمدة عند الوسط، أما جانباه فيرفعان بقوسين، وتربط أطرافها بحبال حسب سعة القوس.[3]

شهدت **صناعة الفخار** تطورًا ملحوظًا في صنغي، وقد شاركت المرأة الطارقية الرجال في هذه الحرفة، وصنعن أواني للطبخ وحفظ المياه كالجرار وغيرها[4]. وكما

---

(1) محمد السعيد القشاط: المرجع السابق ،ص93- 95، Prasse, K. – G: Op.Cit,p.39,40.

(2) عبد القادر المرجع السابق، ص 223؛ الشيخ الأمين عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، دار المجمع العلمي، جدة، 1979، ص 153.

(3) Mickelsen R., Nancy: Tuareg jewelry, African arts, vol.9, No.2 (Jan. 1976), p.11.

(4) Timothy, I.: Archaeological Research In Timbuktu, Mali, Antiquity, No.72,1998, St Johns College, England, pp. 11-12: Mourgues, G.: Le Moyen Niger Et Sa Boucle Dans La Region De Tombouctou, Paris, 1933, p. 90; Guibbert, J. J: The Ecology And Ideology Of Cities On The Edge Of The Desert, In: Brian Brace Taylor (Editor): Reading The Contemporary African City, Proceedings Of Seminar Seven In The Series Architectural Transformations In The Islamic World, Held In Dakar, Senegal, Nov 2 – 5 (1982), p. 11.

أشارت الأدلة الأثرية كانت صناعة الفخار محلية، وكان يستخدم في هذه الصناعة الطوب اللبن أو الطمي ثم حرقه بالنار، وقد وجت بقايا لشقف من الفخار المصنوع محليًا[1].

وقد اشتهر الطوارق بمهارتهم في **النقش على الصخور**، فمن خلال النقوش المكتشفة في موقع وادي السوق بتادمكة يتأكد وجود بعض الحرفيين الذين اشتغلوا بحرفة النقش على الصخور، سواء باللغة العربية أم بلغة التفيناغ[2]، والتي كانت تحتاج لمستوى عالٍ من المهارة. ويظهر من الأسماء الموجودة على بعض النقوش وجود عدد من النحاتين الذين احترفوا النقش على الصخور، وشواهد القبور، وجاءت معظم هذه الكتابات بالخط الكوفي. ويرجح أن هناك بعض الأسر التي عملت في هذه الحرفة، مثل عائلة أبي بكر، فقد حمل شاهدان أحدهما غير مؤرخ، والثاني مؤرخ بعام 612هـ/1215م، الأول كتبه بَجَالُ بن أبي بكر، والثاني كتبه إبراهيم بن أبي بكر[3]. وعمومًا فإن مهارة النقش على الصخور كانت شائعة لدى مجتمعات الطوارق الذين سكنوا تادمكة، واستمرت شواهد قبورهم معبرة عن حرفتهم هذه وعن وجودهم حتى القرن التاسع للهجرة[4].

- **التنظيمات الحرفية للطوارق في مجتمع السودان الغربي:**

عرفت مجتمعات السودان الغربي التنظيمات الحرفية منذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي[5]. كما أن منطقة جني قد عرفت تلك التنظيمات منذ عام 184هـ/800م، وهوما أكدته نتائج الحفائر الأثرية التي أجريت في منطقة جني جينو[1].

---

(1) Insoll, Timothy: Op.Cit, pp. 11 – 12, Mourgues, G.: Op.Cit, p. 90, Guibbert, J. J: Op.Cit, p. 11.

(2) التيفيناغ هي لغة الطوارق التي يرجع تاريخها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح تقريبًا حتي الآن، وتشهد على ذلك الكتابات والنقوش المنتشرة في الصحراء الأفريقية. انظر : عمر الأنصاري: المرجع السابق، ص48.

(3) Farias. Essouk Arabic Non-Funerary Inscriptions, p.301.

(4) Farias. Arabic and Tifinagh Inscriptions, p.48.

– بطل شعبان: جوانب من تاريخ مملكة تادمكة، ص60، 61.

(5) Timothy, I.: Op.Cit, p. 11.

واستمر الحرفيون والصناع في صنغي يؤلفون شريحة اجتماعية نشيطة تتجمع في طوائف لها نظمها وتقاليدها، فمحمود كعت ذكر مثالاً لهذه التنظيمات حينما يشير إلى وجود ستة وعشرين بيتًا من بيوت الخياطين المسماة " بتِندِ "، وكان لكل بيت من تلك البيوت شيخ (رئيس) معلم، وتحت يده من خمسين إلى مائة من المتعلمين للحرفة[2].

وجود " شيخ " أو رئيس على رأس الحرفة، يتولى شئون الحرفيين وينظر فيما يخص تلك الحرفة، يؤكد على أن بعض الحرفيين في صنغي كانت لهم تنظيماتهم الخاصة بهم، هذا على الرغم من قلة التفصيلات في المصادر حول هذه التنظيمات، فإن بعض الإشارات المصدرية أشارت إلى التنظيم الدقيق الذي كانت عليه بعض طوائف الحرفيين في صنغي، فالأسكيا داوود أحضر العديد من الحرفيين ذكورًا وإناثًا إلى جاو، وجعل لهم حيًا خاصًا بهم[3].

غير أن المصادر المتاحة لا تقدم لنا ما يفيد بوجود تنظيمات حرفية لدى طوارق السودان الغربي، لكننا لا نشك في وجود هذه التنظيمات من واقع وجودها في المجتمع السوداني، فضلًا عن بعض الإشارات النادرة جدًا بخصوص احتراف أسر بأكملها لحرفٍ بعينها، ومثال ذلك أسرة أبي بكر التي احترفت النقش على الصخور وكتابة شواهد القبور في تادمكة[4].

---

(1) Charlotte, B.: The Oxford Companion To Archaeology, Oxford University Press, New York, 1996, p. 17, Goucher, C., And Le Guin, Charles, And Walton, Linda: Trade, Transport, Temples, And Tribute, The Economics Of Power, Boston, 1998, pp.7, 8.

(2) كعت: مصدر سابق، ص 180؛ بانيكار: مرجع سابق، ص 361، 362.

(3) كعت: مصدر سابق، ص 41.

(4) Farias. Essouk Arabic Non-Funerary Inscriptions, p.301.

- **خاتمة:**

من خلال البحث تم التوصل إلى عدد من النتائج الهامة يتم استعراضها :

- بينت الدراسة عوامل ازدهار الأنشطة الحرفية للطوارق، والتي أهمها توفر المواد الخام في منطقة السودان الغربي، وخاصة الذهب.
- كشفت الدراسة عن براعة الطوارق العديد من الأنشطة الحرفية، ويأتي على رأسها الحدادة، حيث اشتهروا بجودة مصنوعاتهم المعدنية كالسيوف والرماح والخناجر والمدي، وإعداد الحلي بأشكاله المختلفة.
- أوضحت الدراسة عمل الطوارق في التعدين واستخراج الملح، وقد اكسبهم سيطرتهم على الملاحات ثقل اقتصادي وسياسي مهم.
- أثبتت الدراسة مهارة الطوارق في حياكة الملابس وتطريزها، وظهر ذلك في ملابسهم التي تميزوا بها عن غيرهم.
- كشفت الدراسة عن براعة الطوارق في صنع المصنوعات الجلدية ، وخاصة السروج والرواحل، كما برعوا في صناعة الصنادل والأحذية والحقائب الجلدية.
- بينت الدراسة تطور المصنوعات الفخارية لدي الطوارق، وقد ظهر ذلك في صنع الجرار وأواني المطبخ المختلفة.
- أثبتت الدراسة مهارة الطوارق العالية في النقش على الصخور، وقد عمل عدد من الحرفيين الطوارق بهذه المهنة، سواء النقش باللغة العربية أو بلغة التيفيناغ.
- أثبتت الدراسة مشاركة المرأة الطارقية بجانب الرجل في العديد من الحرف، وخاصة حرفتي الغزل والنسيج والفخار.
- أثبتت الدراسة وجود تنظيمات حرفية في السودان الغربي منذ فترة مبكرة، وقد كون الحرفيون شريحة اجتماعية نشيطة تتجمع في طوائف لها نظمها وتقاليدها.

- **قائمة المصادر والمراجع**

أولاً: المخطوطات

1. أحمد بابير الأرواني: جواهر الحسان في أخبار السودان، مخطوطة بمعهد البحوث في العلوم الإنسانية، نيامي، النيجر، تحت رقم 106
2. أمن بن أحمد الأنصاري: تاريخ أهير، مخطوطة بقسم المخطوطات العربية والأعجمية، جامعة نيامي، النيجر، تحت رقم 60.
3. الغلاوي، المصطفي بن أحمد: العمل المشكور،ج1، في جمع نوازل التكرور، مخطوطة بمعهد أحمد بابا التنبكتي، مدينة تنبكت، مالي، تحت رقم 521

ثانيًا: المصادر العربية

1. الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، ت 560هـ/1164م): نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، تحقيق روبيناتشى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994
2. ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي، ت 779هـ/1377م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق وتقديم عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997
3. ابن بعرة(منصور بن بعرة الكاملي ت1136هـ): كتاب كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية، حققه عبد الرحمن فهمي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1966
4. البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز، ت 487هـ/1094م): المغرب في بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، د . ت
5. الحميري (محمد بن عبد المنعم الحميري، ت 900هـ/1494م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى 1975.
6. ابن خلدون(عبد الرحمن بن أبي محمد بن الحسن، ت 808هـ/1406م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، ضبطه ووضع حواشيه الأستاذ خليل شحادة،ج6، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت
7. ابن سعيد (أبو الحسن علي بن سعيد المغربي، ت 673هـ/1275م): كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1970

8. السعيدي(عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعيدي، ت 1067هـ/1656م): ملوك السودان أهل سنغي وقصصهم وأخبارهم وسيرهم وغزواتهم وذكر تنبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك، نشره هوداس، مطبعة أنجي، باريس، 1898
9. العمري (شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيي، ت 749هـ/1348م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وآخرين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، 2001
10. مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشئون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، 1983
11. محمود كعت (ابن الحاج المتوكل كعت الكرمني، ت 1002هـ/1593م): تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشره هوداس ودولافوس، مطبعة إنجي، باريس، 1913
12. محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ/1503م): استنصاح السودان أحد فقهاء توات وتلمسان، تحقيق أحمد العلمي حمدان، مجلة كلية الآداب بفاس، عدد خاص حول العلاقات المغربية الأفريقية، 1989.
13. ابن هذيل (علي بن عبد الرحمن بن هذيل الفزاري الأندلسي توفي بعد عام 763هـ): حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار المعارف ، (د.ت)
14. النويري (أ حمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، ، ج18، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ
15. الوزان(الحسن بن محمد الوزان، ت 960هـ/1552م): وصف أفريقيا، الجزء الثاني، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1983

ثالثًا: المراجع العربية والمعربة

1. إبراهيم أحمد العدوي: ابن بطوطة في العالم الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، 1954
2. إبراهيم طرخان: مملكة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973

3. أحمد بلعراف التكني: إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط، تحقيق الهادي المبروك الدالي، سلسلة: من التاريخ الثقافي المشترك لأفريقيا فيما وراء الصحراء وشمالها، بدون ناشر، 2000.
4. إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983
5. بانيكار ك. مادهو : الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غربي أفريقيا، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1995
6. بوفيل: الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، ترجمة زاهر رياض، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968
7. حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998.
8. حسين مراد: الصلات بين المغرب والسودان الغربي (خلال القرن 2-6 هـ /8-12م)، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا ، الإسلام في أفريقيا ، الكتاب الحادي عشر ، 2006
9. دياين: البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية في أفريقيا خلال هذه الفترة، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الخامس: أفريقيا من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر، المشرف على المجلد ب.أ.أوغوث، اليونسكو، طبعة لبنان، 1997
10. سيسوكو، سينيكي مودي: الصنغي من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع: أفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، ليونسكو، باريس، الطبعة الثانية، 1997
11. الشاوي اللإله البكاي أماهين: الطوارق عبر العصور ، تحقيق أ / إصلاح محمد البخاري حمودة ، دار الكتب الوطنية ، ليبيا ، 2007
12. الشيخ الأمين عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، دار المجمع العلمي، جدة، 1979
13. عبد القادر جامي: من طرابس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة محمد الأسطى، طرابلس، دار المصراتي للطباعة والنشر، 1974
14. عز الدين عمر موسى: دراسات إسلامية غرب أفريقية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 2003.

15. كرم الصاوي: تجارة الذهب والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب ، تجارة الذهب والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب ، ندوة التواصل العربي الأفريقي، جامعة القاهرة ، مايو 2003
16. عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493 – 1591م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971
17. عمر الأنصاري: الرجال الزرق (الطوارق، الأسطورة والواقع)، دار الساقي، 2017
18. لومبارد، موريس. الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، ط2، دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، 1998
19. ماني الشاوي اللإله: نبذة مختصرة عن قبائل طوارق آزجر بالجماهرية العظمي حدودهم وعاداتهم وتقاليدهم الشعبية القديمة وأهمية موقعهم الاستراتيجي، 2005
20. محمد سعيد القشاط: التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات وأبحاث شئون الصحراء ، ليبيا ، ط 2 ، 1989 م
21. هوبكنز أ.ج.: التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 1998

رابعًا: الدوريات:

1. أحمد عبد الدايم حسين: تاريخ القضية الأزوادية وتطورها، مجلة قراءات إفريقية، العدد السادس عشر، إبريل – يونيه 2013
2. بطل شعبان محمد غرياني: جوانب من تاريخ مملكة تادمكة في ضوء نتائج الحفائر الأثرية وشواهد القبور من منتصف القرن الثالث حتي نهاية القرن السادس للهجرة 9–12، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الحولية 43، الرسالة 605، 2022
3. خالدي مسعود: أبو إسحاق إبراهيم الساحلي الأديب والمهندس المعماري وأثره في نشر فن العمارة الإسلامية في السودان الغربي، دورية كان التاريخية، السنة العاشرة، العدد السابع والثلاثون، سبتمبر 2017
4. قمر الدين محمد فضل الله: "لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية 1468–1591"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الرابع، طرابلس، 1987

5. الهادي مبروك الدالي: قبائل الطوارق (دراسة وثائقية)، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط 1، 2006
6. هارون المهدي ميغا: إمبراطورية سنغاي دراسة تحليلية في الترتيب التاريخي للإمبراطوريات الإسلامية في غرب أفريقيا، مجلة دراسات أفريقية، العدد 37، السنة 23، يونيو 2007

خامسًا: الرسائل العلمية:

1. أحمد درويش: دور المرأة السياسي والحضاري في دولتي مالي وصنغي (636 – 1000هـ/1238– 1591م)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 2007
2. بطل شعبان غرياني : العامة في دولة صنغي (869 – 1000هـ / 1464 – 1591م)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 2011م
3. محمد أنور توفيق أبو علم: مملكة سنغاي الإسلامية تطورها الاقتصادي والاجتماعي والحضاري، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة 1977

سادسًا: المراجع الأجنبية:

1. Berland, J. C. and Aparnarao: Customary strangers new perspectives on peripatetic people in the middle east Africa and Asia British library cataloguing in publication, London, 2004
2. Cline, E. And Takacs, Sarlota: The Ancient World, Vol.1: Civilizations Of Africa, Sharpe Reference, Malaysia, 2007
3. Charlotte, B.: The Oxford Companion To Archaeology, Oxford University Press, New York, 1996
4. Cressier, Patrice. "Archéologie de la dévotion Soufi", Journal des Africanistes, Vol. 62, No.2, Year 1992.
5. Farias, P. F. de M.: Arabic and Tifinagh inscriptions, Published in (Essouk – Tadmekka), Brill, Leiden, Boston, 2017
6. _____Arabic Medieval Inscription From The Republic Of Mali, Sudanic Africa, No.15(2004)
7. Goucher, C., And Le Guin, Charles, And Walton, Linda: Trade, Transport, Temples, And Tribute, The Economics Of Power, Boston, 1998

8. Guibbert, J. J: "The Ecology And Ideology Of Cities On The Edge Of The Desert", In: Brian Brace Taylor (Editor): Reading The Contemporary African City, Proceedings Of Seminar Seven In The Series Architectural Transformations In The Islamic World, Held In Dakar, Senegal, Nov 2 – 5 (1982)
9. Hunwick, J.: "A Region Of The Mind: Medieval Arab Views Of African Geography And Ethnography And Their Legacy", Sudanic Africa, No.16,(2005)
10. Jacques, H., Les Medecines Touareges traditionnelles, Kharthala, Paris, 2000
11. Koubbel . L .E: Puissance De Songhay, Essai De l'étude d'un régime Socio-politique, Publications De Scientifiques, Moscou, 1974
12. La Violette, A.: Ethno-Archaeology In Jenne Mali, Craft And status Among Smiths , Potters, And Masons, Cambridge Monographs In African Archaeology, 2000
13. Levtzion, N.: Ancient Ghana And Mali, Africana Publishing Company, New York, 1980
14. McDougall, E. A.:"Salt of The Western Sahara: Myths, Mysteries And Historical Significance",The International Journal Of African Historical Studies,Vol. 23, No.2, (1990)
15. Mcintosh, R. J: The Peoples of The Middle Niger The Island of Gold, Blackwell Publishers, USA, 1998
16. Mickelsen R., N.: Tuareg jewelry, African arts, vol.9, No.2 (Jan. 1976)
17. Monger, G. P.: Marriage customs of the world (An Encyclopedia of dating customs and wedding traditions, Seconds Edition, vol.2, ABC- Clio, England
18. Mourgues, G.: Le Moyen Niger Et Sa Boucle Dans La Region De Tombouctou, Paris, 1933
19. Murphy, R. F.: Tuareg Kinship, American Anthropologist, New Series, vol.69, No.2 (Apr.1967)
20. Nicolaisen, J.: The Pastoral Toareg : ecology, Culture and Society, 1997
21. Nixon, S.: Trans – Saharan gold trade in pre- modern times available evidence and research agendas, Cambridge Uni. Press,USA,2017
22. Prasse, K. – G: The Tuaregs (The Blue people), Museum Tusculanum press,1995

23. Shillington, K.: History of Africa, Macmillan, 1995
24. Ramsussen, Susan : “Disputed Boundaries: Touareg Discourse on Class and Ethnicity Ethonogy”, Vol. 31, No.4 (olt.,1992)
25. Timothy, I. :”Iron Age Gao”: An Archaeological Contribution, The Journal Of African History, No.38(1997)
26. _____: Archaeological Research In Timbuktu, Mali, Antiquity, No.72,1998, St Johns College, England
27. Willard, A. L.: Rivers of Gold, Oceans of Sand: The Songhay in The West African World- System, Doctor of Philosophy, The John Hopkins University, Mary Land, U.S.A, 1999